الشيخ جمال الدين سيروان

الترهيب من القتل وما يوجب الحد - 1

إذ قال من عبادة العباد، صحيحٌ أن كل هذه الأصنام من عباد الله، لكنَّ هذه الأصنام اتخذها بعض من أولئك المشعوذين، واستطاعوا أن يتلاعبوا بها على عقول بعض من أولئك المغفلين، لذلك فرعون لما استخف قومه أطاعوه، وذلك أن بعضًا من الذين يريدون أن يسوغوا للناس، أن فرعون استخف قومه فأطاعوه، ولكن بعد ذلك جاء مثلًا عمرو بن لحي، هو الذي جاء طاف في الأرض فوجد ناسًا يعبدون أصنامًا، فراح يقول للقوم وهم مغفلون، ثقافتهم ضحلة، معارفهم قليلة، تعالوا فهذه الأصنام يمكن أن تؤذِنكم بخير، وأن تعطيكم برًا، كما نرى تشويهات إعلامية إنما يتلاعب بها شياطين في هذا القرن بالذات، مع أن العقل تنامى، مع أن الفكر تسامى، ومع ذلك تجد بأن للخرافات موقعًا في أن تفترس الأذهان، وفي أن تعطل الأفكار، أما ترون بأن إعلامًا يمكن أن يشوه حقيقة، ويمضي على الناس مثل هذه الزخارف التي تقال لهم، كذلك جاء في تلكم العصور، لذلك سيدنا ربعي رضي الله عنه، ماذا قال؟ يخرجنا من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار، فهذا الذي كان يملك صنمًا كان يدّعي بأنه أقرب إلى الصنم من سواه، وكان يتخذ أولئك على أنهم سُخرة بين يديه، لذلك جاء الرسول ﷺ، حرر العقل الإنساني، قال لكل إنسان لك كرامتك، لك حريتك، لك اختيارك، تعال إلى ربك من خلال اختيارك، هنا قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾. ولكنَّ هذا التكريم لا يمكن أن يكون إلا من خلال الغاية التي من أجلها خلق الله الإنسان، فغاية خلق الإنسان الابتلاء والاختبار، ذلكم أن هذا الابتلاء والاختبار لا يمكن أن يكون إلا إذا كان هناك حرية، كيف أختار وأنا مكبل؟ لا يمكن أن أختار وأنا مقهور، لا بد أن أختار وأنا أملك حريتي، لذلك الله تعالى قال لنا: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾. لكن هذا الاختيار الذي ينبع من الحرية لا يمكن أن يتحقق ما لم يكن هناك حافظ لذلك ألا وهو الحِفاظ على النفس الإنسانية، فلما كان الحفاظ على النفس الإنسانية هو الأساس الذي ينبع من خلاله الابتلاء، لذلك الله سبحانه تعالى جعل النفس الإنسانية مصونةً محفوظةً، لا يجوز لأحد أن يعتدي على كرامتها، ولا أن يغتالها، ولا أن يقتلها، ولا أن يعتدي عليها طالما أنها لم تفعل سوءًا وطالما أنها لم تقاتل أحدًا، ففي مثل هذا الحال جعل الإسلام النفس الإنسانية مصونة مكرمة محفوظة، لا يجوز لمسلم على الإطلاق أن يقتل آخر باختياره غير الإسلام، محال أن يأتي الإسلام بالحرية وأن يغتالها بآنٍ معًا، محال أن يكون أصل قتل الآخر كونه لم يسلم، ما جاء الإسلام ليقتل آخر على الإطلاق لكونه اختار غير دين الله، فالنبي ﷺ لما دخل مكة ملكهم الحرية، مع أنهم مقاتلون، مع أنهم كانوا قد فعلوا الأفاعيل على مدار إحدى وعشرين سنة، ولكن لما جاء يعطيهم الدرس في الحرية والكرامة الإنسانية، ما تظنون إني فاعل بكم؟ أخ كريم وابن أخٍ كريم "اذهبوا فأنتم الطلقاء، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن" قيمةٌ اجتماعية أعطى فيها لسيد تلك القبيلة مكانته "من أغلق بابه عليه فهو آمن" اختار حريته، ولما يقول "من أغلق بابه عليه فهو آمن" هل هذا يكون لمسلم؟ لا يكون لمسلم، يقول لمن لم يختر الإسلام، طالما أنك أردت الآن أن تختار ألا تقاتل فلك حريتك، واختر ما شئت أنت من دين تريد أن تختاره ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾. إذن إن الحرية هي أساس، وركيزة، وثابتٌ من ثوابت الفهم الإسلامي، غاب عن كثير من أبنائنا، ومن شبابنا، وفهموا النصوص اختطافا، والتقطوها التقاطا، ولم يجعلوها ضمن لوحتها التكاملية، ولا ضمن نسيجها التام، إنما أرادوا أن يلتقطوا بعضًا من النصوص من غير أن يربطوا بعضها مع بعض، لذلك قاموا بثوراتٍ، قاموا باغتيالاتٍ، قاموا بضرب أو سفكٍ، قاموا باغتصاب أموال بحجة أن هؤلاء كفار، إن المال مصون، إن النفس مصونة، الضروريات الخمس جاء بها الإسلام، جاء بها الاسلام لكل إنسان كان في دولة الإسلام، فوجب أن نحافظ له على ما يختاره من دينه، ونحافظ له على نفسه، ونحافظ له على عرضه، ونحافظ له على ماله، هذه ضروريات لا يجوز على الإطلاق أن تغتال أبدًا، أحافظ له على عقله، بمعنى أن يكون هذا العقل عقلًا ناضجًا يختار من خلاله ما يشاء، لذلك ضروريات للمسلم ولسواه، والمصطفى ﷺ بالحرية التي أبانها لنا في أول قانون مواطنة في العالم على الإطلاق، ما قام به ﷺ، وهو في سياسته الشرعية، في قيادته لدولته عليه الصلاة والسلام، أقام لكم قانون المواطنة ما بين اليهود وما بين المسلمين، فأعطاهم حقوقهم، منحهم حريتهم، وبعد ذلك كله قال عليكم أن تتقدموا للدولة التي منحتكم هذه الحرية، وأضافت إلى ذلك أن ترعى مصالحكم، وأن تحافظ على أنفسكم، وأن ترعى لكم كل أموالكم، مجرد أن يكون هناك ضريبة سنوية سميت الجزية، هذه هي الضريبة السنوية التي هي ما تسمى بالتاكس في هذا العصر، وهذا أمر مقدس، اليوم التاكس يعني أكبر جريمة يمكن أن تكون في أمريكا، أو أوروبا، أو كندا، أكبر جريمة تهرب من التاكس، التهرب من الضريبة، والجزية إنما كانت على القادر وليست على العاجز، أما العاجز فإن دولة الإسلام تحتضنه، تعطيه، تطعمه، تكسوه، تنفق عليه، تحميه، كذلك هذا هو الإسلام الذي جاء بقانون المواطنة فيما بدأ به الرسول ﷺ، وذلكم حفاظًا على الحرية، حفاظًا على الحرية، لأن الحرية أساس، فمتى اغتيلت حرية الإنسان اغتيلت كرامته، أب مع ابن يريد أن يفرض من نفسه أبوته بالقهر، فهو أب مخفق، شيخ يريد أن يفرض مشيخته وأستذته على تلاميذه بالقهر، فهو مخفق، سيد الخلق صلى الله وسلم وبارك عليه، وهو من يفديه كل مسلم بروحه، وماله، ونفسه، والدنيا كلها من أولها إلى آخرها، لكنه صلى الله وسلم وبارك عليه إنما كان عليه الصلاة والسلام لما رأى أن إنسان اهتز أمامه، وكاد يفقد اختياره، مهابةً من رسول الله ﷺ، فماذا قال له حين اهتز وقيل له إنه رسول الله؟ قال اجلس أيها البدوي، فإنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد، أنا ابن امرأة كانت تأكل

القديد في مكة، فأنا مثلك، أنت تقدد في باديتك، وأمي كانت تقدد هنا في مكة، نحن جميعًا سواء لنا حرية اتخاذ قرارنا، النبي ﷺ في التكريم الذي جعله بأنه استقبل نصارى نجران، أين استقبلهم؟ في مسجده ﷺ، وكم بقوا عنده؟ قرابة خمسة عشر يومًا، وخرجوا بعد ذلك الحوار كله إلى ألا يختاروا الإسلام، فماذا قال لهم النبي ﷺ؟ كفرة سنقطع رؤوسكم ونطهر الأرض من زيفكم، ما قال ذلك النبي ﷺ، بل طلبوا منه أن يعينهم في إدارة واقعهم الذي عجزوا أن يديروه، فقالوا إنا وجدنا دولة قد نضج فيها الناس، وقام فيها العدل، ونحن ضاعت بيننا الحقوق، ليس هناك من يستطيع أن يقيم بيننا الحقوق، يا محمد ما قالوا له يا رسول الله، يا محمد ابعث فينا من يحكم فينا، من يقضي فينا، طلبوا منه إعانة وهم يصرون على ألا يدينوا بدينه، والنبي ﷺ سأبعث معكم أمين هذه الأمة، أكبر كفاءة بشرية عندي سأزودكم بها، انظروا كيف أن المصطفى ﷺ يكافئ الآخر يستفز فيه ذهنه، يقول له أنا ما جئت لأفرض رأيي عليك، ولا تظن أني سأساعدك لأجل أن أجتذبك لكي تكون في صفي، إنما أريدك أن تعرف بأني أريد الخير لك ولكل إنسان، هكذا كان ﷺ رحمةً للعالمين، فأرسل فيهم من تحفظون اسمه جميعًا وهو سيدنا أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

إذن نحن اليوم مع هذه المقدمة التي ما أحب أن أفيض فيها الكثير حتى نبدأ بقراءة ما نحن فيه اليوم في كتاب اسمه كتاب الحدود، نبدأ الآن بسيرة جديدة في كتاب الحدود، يقول: فيه سبعة أبواب وخاتمة، الباب الأول في الترهيب من القتل وما يوجب الحد، إذن هذا العنوان في الترهيب من اغتيالنا للآخر، إن كان القتل حسيًا، أو كان القتل معنويًا، أو كان القتل فكريًا، فكم من اغتيال فكري يمارس علينا؟ وكم من اغتيال شعوري يمضي فينا؟ وقد يكون مميتًا ألف ميتة قبل أن يموت الإنسان، وقد يتمنى إنسان اغتيلت حريته أن تطويه الأرض وأن ينتهي من هذا الذل الذي يمارس عليه، سلوا أولئك الذين اغتيلت حرياتهم، سلوا تلك الأقبية التي تضمهم، سلوا ذلك الظلم الذي مورس عليهم، سلوا ذلك التعالي والتغطرس الذي كان من أولئك الذين أرادوا أن يفرضوا أنفسهم أنهم أفقه منهم وأعلم منهم وأنهم أدرى بمصالحهم، سلوا شعوبًا إنما اغتيلت من خلال أفراد، أرادوا أن يُركِعوها عند أقدامهم قد قتلوهم مئات آلاف المرات، مئات آلاف المرات، قتلوهم، قتلوا نفوسهم، قتلوا عقولهم، قتلوا كرامتهم، ترون شعوبًا اليوم وهي هائمة على وجهها، تقرأ في وجوهها آلامًا وأسطرًا فيها تبريحات مما يعتلج في أعماقها من الآلام، تقرأ في وجوهها ما كانت تعانيه من ذل من أناس أرادوا أن يكونوا فراعنة عصر، وأن يكونوا هامانات مصر، أما رأيتم ذلك كله؟ كل ذلك قائم، لذلك جاء الاسلام لأجل أن ينقذ الإنسان من كل هذه القضية التي أرادت أن تستغلها بعض من الأيدي العابثة، فعمر بن الخطاب هو الذي قالها قولة حق آنئذٍ، ليقول إنا دولة لا يمكن أن نفرّق في المواطنة بين فرد وآخر، إن ميزان التقوى بين مسلم ومسلم إنما يتفاضلان عند الله، أما بين مسلم وآخر لم يختر الإسلام فلا يجوز أن نطعن في مواطنته، ولا أن نغتال كرامته أو حريته، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا، أين قالها عمر؟ قالها لأجل ان ينتصر وينتصف لمن؟ لقبطيٍّ على من؟ على محمد بن عمرو بن العاص، قومٌ أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله، وعزة الإسلام إنما هي الكرامة للإنسان، امنح الكرامة وخطأ مني أن أقول امنح الكرامة، أنت لا تملك أن تمنح، أنت ممنوح وأنا ممنوح كلانا على حد سواء، فلا أب يمنح كرامة لابنه، ولا ابنٌ يمكن أن يمنح كرامة لأبيه، كرامة ملّكناها الله سواء ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾. كرم الله الجميع، لذلك خطأ مني تعبيري ما أقصده، وقد يقوله غيري أحيانًا ملّكوا الناس حريتهم، مَن أنت حتى تملك الآخر حريته؟ قد خلقه الله حرا، إياك أن تغتال حريته، أو أن تنتقص كرامته، أو أن تشل إرادته، أو أن تفترس رغبته، عليك أن تترك لنفسك حريتها التي منحك الله إياها، وعليك ألا تتجاوز حقك في أن تفترس حق أخيك في حريته التي منحه الله تعالى إياها، نحن قوم رُبينا أحيانًا في بعض من معاهدنا الأسرية، من معاهدنا العلمية، من معاهدنا التربوية، ببعض من المصطلحات التي تُفرز كثيرًا من الاستبدادات، وتُكسى عناوين من التشريعات، صحيح أن الرسول ﷺ أمرنا بالأدب، وأدبُ الإسلام هو الزينة للمسلم، ولكنَّ الأدب ليس ذلًا، فالمسلم لا يذل، أمرنا أن يتأدب الابن في حضرة أبيه، وأن يتأدب التلميذ في حضرة شيخه، وأن يتأدب الصغير في حضرة الكبير، لكنه علمه أن هذا الأدب اختيار، وليس قهرًا ولا إجبارا، فلا ينبغي لأبٍ وجّه ابنه لأجل أن يتأدب معه، أن يأخذ هذا الأمر بأن يتطاول على ابنه فيلغي له كرامته، بل عليه أن يقف عند حد عبوديته، لذلك لاحظنا سيدنا إبراهيم في التكريم التربوي، ماذا فعل إبراهيم عليه السلام في أمر رباني وليس في قضية بشرية، ماذا قال لابنه؟ لفتاه الذي بلغ معه السعي، يعني كان كم عمره؟ في الرابعة عشرة، في الخامسة عشرة، لو رأينا الآن نحن فتى في الرابعة عشرة يا ولد يا ولد، مصطلحات سخيفة فيها شيء من الاغترار، وشيء من التسخيف للآخر، لكن سيدنا إبراهيم عليه السلام علمنا تلك الصياغات التي ترقى بالإنسان في التحضر، جاء القرآن ليعلمنا ماذا قال سيدنا إبراهيم؟ قال: يا بني، يا بني نسبه إلى البنوة التي هي ما بين أبوةٍ وبنوة ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾. ما قال له افعل، مع أنه مأمور أن يقول له افعل، أرأيتم كيفية التكريم؟ فما أحلى أن تقول لولدك يا ولداه ما رأيك أن تذهب لتأتي ببعض هذه الحاجات؟ عوضًا أن تقول له يا ولد تعال لهون روح، لماذا هذه الفظاظة؟ ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾. أما نتعلم من القرآن سنته؟ ما أنزل الله علينا هذه القصة لأجل أن نتلوها حكاية، إنما أنزلها علينا لأجل أن نفهم منها سنة، لذلك المصطفى ﷺ لما أفرز المهارات، وأبرز الطاقات، أبرز طاقات، لكن من خلال مثل ذلك، جاء ﷺ ليناغم ويعلمنا كيف يخاطَب الفتى وكيف يخاطب الغلمان، قال:" يا أبا عمير ما فعل النغير" من أبو عمير هذا؟ من هذه الشخصية العظيمة التي أفرزت للمجتمع مكانها ومكانتها؟ من أبو عمير؟ كلكم يعرف من هو أبو عمير، من أبو عمير؟ من؟ ثلاث سنوات هو أخ أنس بن مالك، أمه أم سُليم، يأتي النبي ﷺ مكرّما، ويقول لهذا الحدث الصغير "يا أبا عمير، ما فعل النغير" صلى الله وسلم

وبارك عليه، أخوه أنس رحلة يقضيها مع سيدي رسول الله ﷺ وسيدكم وسيد الخلق، فيقول: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فلم يقل لي لأمرٍ فعلته، لم فعلته؟ ولا لأمر تركته لما تركته؟ إنما كان يومئ إيماءة، يبسم بسمة، يلاحظ ملاحظة، ينظر نظرة، تعبر عن أمر قد يرضاه أو قد لا يرضاه، وهذا كله في المباحات، لكن في التشريعات من المحال على النبي ﷺ إلا أن يقول ما أمره الله به

إذن ليس الغبي بسيدٍ في قومه *** لكنَّ سيد قومه المتغابي

فعلم أبناءك واستعمل ذلك مع زوجك، إياك ان تكون الملحاح، الملحاح غليظ فظ، لا يمكن أن يُقبل، إياك أن تكون المدقق على كل قضية والمتابع لها وأنت تريد أن ترصف الأحاديث وأن تجعل لنفسك أستاذًا في كل موطن، المصطفى ﷺ سيد الخلق معلم البشرية سيد الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام "أشيروا علي أيها الناس" "أشيروا علي أيها الناس" طيب أشار عليه يعني ذروة القوم وخبرتهم، وشيوخهم، وكبارهم، لا لا، بقي الشباب يستحيون أن يذكروا لرسول ﷺ رأيًا، أتريدنا يا رسول الله؟ أجل أريدكم، يعتب الأنصار، ويجدون في أنفسهم على رسولهم الأعظم ﷺ بشر، يمكن أن يقعوا في خطأ؟ أجل، قام في نفسه موجدا نعم، فإذا به ﷺ يأتي سيدنا سعد بن معاذ كما تعلمون "يا سعد ما مقولة بلغتني عنكم؟" قال: أجل يا رسول الله، وما أنا إلا من قومي، يعني يلي بقولوه قومي أنا معهم، ويتبسم الرسول ﷺ: ادعو قومك وتعال معهم، فيأتوا، فإذا بالنبي ﷺ يحاورهم، ويقول لهم كيف أنتم تقولون هذا الكلام؟ أنتم الأنصار أنتم صفوة أحبابي، أنتم الذين نصرني الله تعالى بكم، أنتم المستودع الذي كان لهجرة أولئك الأصحاب الذين كانوا في بداية الحق، ناصرين للصدق، أنتم الأنصار، والله ما كنت لأؤثر بكم أحدا، وهل تجدون عليّ في لَعاعة من لَعاعات الدنيا تألّفت بها قلوب قوم ليؤمنوا هل تكون قلوبكم أنتم متغيرة على بعض من حطام الدنيا، وكان ذلك سعيًا لما تسعون إليه، وهو أن أتألف قلوب هؤلاء، ثم يقول لهم النبي ﷺ أما ترضون بقى قضية العرض، ما قال يعني النبي ﷺ يقول لهم أنتم مخطئون، أنتم ما عرفتم الحق، أنتم الذين لم تقدروا ما حباكم الله تعالى إياه، لكن قال لهم النبي ﷺ: "ألم تكونوا ضلالًا فهداكم الله بي، ألم تكونوا فقراء فأغناكم الله بي، أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير، وأن ترجعوا برسول الله ﷺ؟" شايف بقى أدب المصطفى ﷺ، فقالوا رضي الله عنهم بيكون، فيقول: رضينا بك قسمًا ونصيبًا يا رسول الله فلتذهب الدنيا نحن آمنا بك، فوقف ﷺ يكافئهم، مع أنه غلطانين، هم غلطانين، ماذا يقول؟ "اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار" أيش هذا؟ شايفين كيف المعالجة يا إخوانا؟ كيف بدك تعالج ولدك، كيف تعالج تلميذك، كيف تعالج القضية بينك وبين أخيك، لا تبتر حرية أحد، اجعل بساطًا من الود، ومن الأدب، ومن الاحترام، ومن التقدير لمن حولك، حتى تستطيع أن تنسج بينك وبينه جسرًا من الورود والرياحين، وإياك أن تجعله في حين الموت والتهديد، لا ترفع أصبعك مهددًا إنما أبسط كفيك مُرحِّبًا، لذلك حتى يعلّمون الذي يريد أن يتحدث للآخر مو دائمًا يعلمون هيك دائمًا و يحط العقدة ويتكلم معهم، مو دائما يكون خطيب واحد خطيب جمعة ودائمًا عم يهدد، يعني مرة يكون منذر جيش، ومرات كثيرة بيكون يا أخي فارش ورود وباسم الوجه، فبتشوف كتير أحيانًا مشايخ دائمًا حامل يده وعم يهدد فيها لي عم تهددنا أنت يا أخي، تقبل هيك يعني خلاص يا أخي اقعد معنا لأجل أن نتفاهم مع بعضنا، يكون حديثنا حديث الود والمحبة، حديث الألفة، ولذلك لما قال المثل قال: الأُلفة تذهب الكُلفة، الأُلفة تذهب الكُلفة بالضم كلاهما بالضم، لان اِلفة إنما هي جمع أليف، الإلفة جمع أليف كالرِّفقة، فلذلك قال: الألفة تذهب الكُلفة، أنا براء من المتكلفين، فالمصطفى ﷺ لما نسج هذا النسيج من الحب بينه وبين أصحابه الكرام ما كان فيه كلفة، ليه ما كان فيه كلفة؟ لأنه كانت الجارية تأتي فتمد يدها إلى المصطفى ﷺ ويمشي معها ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾. فإذن هذه السلوكيات يا إخوانا سنن، هذه السنن هي التي يمكن أن تبسط لنا حضارة الإسلام، وأن تكون نسيجًا لهذا التطور، ينبغي لنا أن نغير خطابنا، من هذا الخطاب القاسي الفج، الذي نراه أحيانًا بأنه خطاب متغطرس، ما أحد يقبل، صحيح إنك على منبر الرسول ﷺ، تأسّى به، فبمجرد أن يقف الإنسان على منبر الحبيب ﷺ يتصور أنه فوق الناس، ليه يتصور فوق الناس يا سيدي؟ سيد الخلق وسيدك وسيدي ﷺ، وهو الذي لما قال له أصحابه: يا رسول الله هل منا أحد يدخل الجنة بعمله؟ ماذا قال لهم؟ "إنه لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله، قالوا: ولا أنت؟ قال: "ولا أنا، ولا أنا إلا ان يتغمدني الله برحمته" وهو الذي غفر الله ما تقدم له من ذنبه وما تأخر صلى الله وسلم وبارك عليه، إذن قضية هامة سلوكية لكل فرد في المجتمع، لكل فرد، الصغير يتأدب لأنه إن عدم الأدب فهو اغتال حرية الكبير، والكبير عليه ألا يغتال الصغير، لذلك لاحظنا الأدب اللي كان بين الأب والابن بقصة سيدنا إبراهيم، بالله ضعوها في أذهانكم ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾. أعطني رأيك ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ﴾. بالأدب والعقل، لأنه في عنده حرية اختيار، افعل ما اتفقنا عليه بأن نكون عبدين لرب واحد ﴿افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾. انتهت الحكاية.

إذن لا بد إلا أن يكون هذا النسيج التربوي قائمًا بيننا في كل حوار، وفي كل قضية، وأن تعطى مساحة الإنسان أن يأخذها كما حباه الله تعالى إياها، فالاغتيالات القائمة اليوم اغتيالات خطيرة جدًا، لعل أبرزها هو اغتيال الحرية النفسية، والحرية الفكرية، التطويق الفكري، دعه فليفكر، دعه فليقرأ، فليقرأ، فليقرأ ما شاء، بتقول والله في عندي الأمن الثقافي، الأمن الثقافي، الأمن الثقافي صحيح، صحيحٌ بوجه وباطل من وجه آخر، صحيح بأن لا أكون وسيلة وأسن سنة سيئة إلى من لا يستطيع أن يفهم قضية، فإذا به يضر بنفسه، كمن يقوم الآن مثلًا وهو غير طبيب فيعطي الناس بعضًا من المعلومات الطبية المغلوطة التي يفتك بها بالأبدان، هذا خطأ، لكن بالعموم لما نقول بأن الإنسان ينبغي أن يكون له قدر من الثقافة والمعرفة والعلم، فلا بد إلا أن يكون مفتوح الذهن

حتى يستطيع أن يكون حرًا في اتخاذ قراره، وحتى تتوسع الأذهان ودائرة التفكرات والتأملات، وإلا فإن الإنسان إذا ضُيّق عليه في مساحته الفكرية في حواره، دع ابنك أن يحاورك، دعه فليحاورك، دعه فليقل ملاحظته، إياك أن تغتال عليه، إياك أن تقول له تأدب يا ولد، هذه ألفاظ سلاحية فاسدة إنما جاءتنا من مجتمعٍ هيمن عليه أسلوب الاستبداد، لذلك كان الاستبداد منتقلًا من فريق إلى فريق، بدءًا من الأسرة، إلى الشيخ، إلى الحاكم، فكان الاستبداد قائمًا على الجميع، فاستمرع الجميع حينئذ الاستبداد، فصار من يُستبد به مجرد أن يكون له مقام ليستبد بالآخر فيُفرض كل ما لديه من شحنات القهر على الآخر، ونرى أن هذا الأمر يتواتر في مجتمعاتنا الإسلامية قبل غيرها، باعتبار أننا أيضًا نخطئ الخطأ الشنيع الذي ذكرته لكم، وهو أن نسيّج هذه القضايا التي هي أدبية في أصل تشريعنا، ولكن ليست بهذا الأسلوب الذي نستعمله، صحيح أنه ينبغي أن يكون الولد متأدبًا مع أبيه، والتلميذ متأدبًا مع شيخه، والصغير متأدبًا مع الكبير، كل ذلك صحيح، ولكن ضمن الاختيارات، أما كان سيدنا عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنه ورسول الله ﷺ أما يمكن ان يشفع عند عبد الله بن عباس في ذلك الإناء الذي شرب منه النبي صلى الله وسلم وبارك عليه، ولما كان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن يمين النبي ﷺ، ماذا فعل الرسول ﷺ؟ ما قال له تأدب يا ولد، في أبو بكر الصدِّيق أكبر منك من أنت؟ هذا أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه سيد الصحابة، فلما خيره رسول الله ﷺ، وهذه قضية تربوية علينا أن ننظر فيها، ماذا فعل الرسول ﷺ مع سيدنا عبد الله بن عباس وهو ابن عشر سنين؟ قال: "أتختار أن أعطي الكأس لأبي بكر؟" تخيّر، ما قال والله خلاص كبّر كبّر، صحيح في حديث كبّر كبّر، لكن كل الأحاديث إنما ينبغي أن تنسج بعضها مع بعض، فالنبي ﷺ أعطى لسيدنا عبدالله بن عباس مساحته في حريته كرامته، القضية عن اليمين، أتختار؟ قال والله ما أوثر بسؤلك أحدًا، قال والله عقلًا أبو بكر الصدِّيق تاج رأسي وهذا يعني له مكانته، لكن في ثغر، هذا إذا ضاع مني هذا ما حلاقيه هذا، فلذلك أنا ما أوثر رضي الله تعالى عنه، وﷺ كيف علّمنا كيفية الحوار مع الشباب، الحوار مع الشباب، اليوم تجدون اليوم في عنا ضجيج الشباب، ثورة الشباب، تحرك الشباب، إلى آخره.. تجدون أن هذا الأمر كان ضاويًا تحت الرماد، وكلنا يظن بأننا نملك القرار، أب يظن نفسه بأنه والله مسيطر على أولاده، وأولاده يضحكون من وراء الكواليس، لا أنت مسيطر علينا ولا عارف ماذا يجري فينا، لكن لو كانت المُباسطة والمحاورة، لعرف ماذا يجري فيهم من خطأ أو صواب، أما تلك الهيمنة التي يريد أن يفرضها، فهي التي تجعل حاجزًا بينه وبينهم، فالنبي ﷺ لما جعل الحرية قائمة، جاء شاب يعاني قضية جاء للنبي ﷺ، يعبّر عن حرية فكره يا رسول الله ائذن لي بالزنا، يا رسول الله ائذن لي بالزنا، أمَا قالها ذلك الشاب للنبي ﷺ، لماذا؟ وكيف استطاع أن يقول، لو لم تكن الحرية أساسًا مفروشًا في ذلك المجتمع، أيتجرأ فتى إلى حبيب الله تعالى وسيد خلقه ليقول له ائذن لي بالزنا؟ لكن لما علمهم رسول الله ﷺ حريتهم، كرامتهم، تفكيرهم، تأملهم، نظرهم، فهموا أيضًا رضي الله عنهم أن يرجعوا إلى من عنده الخبرة، إلى من لديه الوحي، عندنا مشكلة يا رسول الله ائذن لي، والنبي ﷺ ماذا فعل معه؟ رفع في وجهه السياط، ماذا فعل معه ﷺ؟ إنما قال له تعال نبحث وإياك البحث بشكل موضوعي مجرد بعيد عن الشخصنة، فلأضع شخصك بعيدًا، أنت لو افترضنا أن هذا الأمر جائز فيفترض أن يكون جائزًا لك ولغيرك، هذا منطق النبي ﷺ، إن كان هذا المطلوب الذي تطلبه، فربما يكون هناك شباب مثلك عندهم هذه الرغبة، إذا كان جائزًا لك فلا يجوز أن يحصر فيك، فينبغي أن يكون لك ولمن يماثلك، فقال قضية عقلية، ماذا قال الشاب؟ والله صحيح يا رسول الله، طيب إذا كان كذلك صحيحًا، إذا كان ذلك صحيحًا، فإذن ماذا ترى لو أن شابًا طلب أمك؟ فانتفض، إذن حرك له عقله، حرك له وعيه الغائب عنه، أنه هذه التي أنت ستفعل معها هذا الفعل، أليست أمًا، أو أختًا، أو بنتًا، أو أو إلى آخره.. وأنت كذلك، فلماذا أنت تغتال الآخر ولا تريد أن يغتالك؟ إن كان الاغتيال هو أصل ينبغي أن يكون للجميع فالجميع ينبغي أن يحوز هذا الحق، فالنبي ﷺ قرر له أمك أختك كذا، ثم النبي ﷺ قال له هذا ابتلاء، الله سبحانه وتعالى ابتلاك، ابتلاك بالصحة والمرض، ابتلاك بالفقر والغنى، ابتلاك بشدة الغلمة وشدة الشهوة، هذا ابتلاء، وهذا الابتلاء ينبغي أن تكون فيه حامل أمانة، ولذلك عليك إن لم يكن لديك ما تستطيع أن تتزوج به أن يكون عندك لجوء إلى من كلفك، وإلى من أودع فيك ذلك، وهو القادر على كل شيء، فارفع كفّيك بإخلاص إليه، فإن الله تعالى يسعفك ويعطيك إن شاء الله سؤلك، ثم وضع كفه ﷺ كفه الشريفة على صدر ذلك الفتى، فيقول رضي الله تعالى عنه ما كان شيء قبل أن يضع رسول الله ﷺ كفه على صدري أحب إلي من الزنا، وما رفع كفه إلا وما شيء أبغض إليّ من الزنا.

لكن المقصود في ذلك أن النبي ﷺ في هذه المساحة التي أراد أن يفردها وأن يعطيها لجميع الأمم، وأن يقول لهم إنما جئت لأجل أن تملكوا حريتكم وحرية اتخاذ قراركم، فهذا هو الأصل، ولذلك كانت النفس الإنسانية معصومة.

والفصل الذي سنتحدث عنه ان شاء الله وقد قدمنا له مقدمة هو الفصل الذي فيه الباب الأول في الترهيب من القتل وما يوجب الحد، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

إن شاء الله في الدرس القادم نبدأ شارحين في هذا الفصل بإذن الله بعد ان تحققنا من حريتنا وكرامتنا الإنسانية التي ملّكناها ربنا عز وجل وأعطاناها، فكنا والحمد لله بفضل منه سبحانه مختارين لهذا الدين وهذا فضل الله سبحانه وتعالى علينا أن مَنّ علينا أن كنا من أمة سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة واتم التسليم.

نسأله سبحانه وتعالى أن يمن علينا ما يمن به على عباده المقربين إنه السميع القريب المجيب.